

أنساق بناء المتواليات السردية في نصوص سيرة المدينة

م.م جنان محمد فرحان الزبيدي أ.د.أثير محمد شهاب

قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد

Jinan.alzoobady@yahoo.com

المخلص

يتبنى هذا البحث دراسة أنساق المتواليات السردية في نصوص سيرة المدينة ، التي وجدت الباحثة أنها تنقسم على نسقين ، اثنين ؛ الأول هو النسق الشخصي ، الذي يتتبع فيه الكاتب حياة إحدى الشخصيات في نصّه السردية ، ويروي عن طريق تتبعه لحياتها سيرة حياة المدينة ؛ إذ تشكل بذلك سيرة البطل معادلاً موضوعياً لحياة المدينة المحكي سيرتها ، والثاني هو النسق الشبكي ، الذي يحكي فيه الراوي سيرة المدينة عن طريق التتابع والتواتر لجملة من الأحداث السردية التي تكون بمجموعها شبكة من العلاقات السردية التي تسهم في بناء المتواليات السردية عن طريق وعي المؤلف الضمني للحكاية ، وقد اشتمل البحث على مهاد نظري لأنساق المتواليات السردية ، يليه فحص وتحليل لنصوص المدونة ، ملحقاً بخاتمة للنتائج التي تمخض عنها البحث ، وثبتاً بالمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في كتابة البحث .

Forms of Building Narrative Sequences in the City's Biography

Jinan Mohammed Farhan Atheer Mohammed Shehab
Arabic Language Department, Baghdad University

Abstract

This research adopts the study of the patterns of narrative sequences in the history of the city, which the researcher found that it is divided into two patterns. The first is the personal system, in which the writer traces the life of one of the characters in his narrative text, and narrates by tracing her life the life of the city; Thus, the hero's biography constitutes an objective equivalent to the life of the city whose story is narrated, and the second is the network pattern, in which the narrator tells the biography of the city through the sequence and frequency of a number of narrative events that collectively constitute a network of narrative relationships that contribute to build narrative sequences through the implicit awareness of the author of the story. The research included a theoretical framework for the formats of narrative sequences, followed by an examination and analysis of the texts of the code, appended with a conclusion to the results of the research, and proven by the sources and references that we relied on in writing the research .

المقدمة

إنّ كلّ عمل حكائي ينطلق من متواليات سردية أساس تُقضي إلى الشكل البنائي السردية النهائي الذي تُصّب فيه حملته الفكرية والموضوعاتية ، مُشكّلة الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه سواء أكان رواية أم قصة أم سيرة ؛ والمتواليات السردية هي سلسلة الوظائف المترابطة فيما بينها إلى الحدّ الذي تُشكل فيه مجموعها وحدة سردية متكاملة ومستقلة .^(١)
أمّا في إطار تأصيل المصطلح ؛ فيذهب الناقد (لطيف زيتوني) في مؤلفته (معجم مصطلحات نقد الرواية) إلى أنّ المصطلح في الأساس سينمائي يدلّ على " سلسلة مشاهد مصورة تشكل وحدة كاملة ذات معنى " ^(٢) ، والأمر ذاته في النصوص السردية الفنية ، فالمقصود بالمتواليات السردية هي جملة المشاهد التي تُشكّل وحدة سردية كاملة ، وقد تكون هذه المتواليات_ بحسب (غريماس) _ سردية أو وصفية أو حوارية ؛ ^(٣) أي أنّ المتواليات السردية تمثل مجموعة من الأحداث الصغيرة المكتفية بذاتها ^(٤)

، والتي تُشكّل مجتمعة وحدة سردية معبرة عن ثيمة موضوعاتية معينة كأن تكون سيرة لمدينة ما ، على سبيل المثال كما هو الحال عليه في النصوص قيد الدراسة.

وقد شُهِت نظريات السرد الحديثة بناء المتواليات السردية بالبنية الشجرية لتغدو العقدة ذات وحدات فرعية فيها يتم التوالي المادي للكلمات ، وتقوم التوزيعات في المتواليات السردية ذات البنية الشجرية على تشعب الأحداث في صورتين : الأولى ، تتقارب فيها السلاسل في شبه تعاقب خطي عند (بروب) ؛ حيث تقدم الكثير من المسردات على المستوى الشخصي موازية لخطوات متوالية الفعل ، وتمثل في النصوص قيد الدراسة النسق الذي يتتبع فيه الكاتب حياة شخصية معينة تُروى عن طريق حياتها سيرة المدينة المحكي سيرتها ، في حين تكون الصورة الثانية تعاقبية لشبكة الأحداث التي تتلاحق وتتواتر بتوالٍ في أجزاء مختلفة من الحكاية ، وهذا الذي يحوّل التوالي إلى تعاقب ، ويُعد (ليفي شتراوس) هو صاحب هذا الطرح ، الذي يمثل في نصوص مدونتنا النسق الشبكي الذي تتعدد فيه المتواليات السردية وتتشابك في بناء سردي يُفضي إلى حكاية سيرة المدينة عن طريق ذلك النسق الشبكي للأحداث المحكية . (٥)

وبما إنّ التوالي هو أساس بناء أي نصّ سردي بغض النظر عن الإطار التجنيسي الذي نضعه فيه ، كأن يكون سيرة أو قصة أو رواية ؛ فإننا نخلص إلى أنّ المتوالية السردية أسلوب أو شكل بنائي على وفقه تُحكى جملة من الأحداث السردية لتصنع حكاية ما ، وتذهب الناقدة (نادية هنادي) إلى أنّ المتواليات السردية عبارة عن تحريك أحداث وتقنين أبنية . وإنّ هذا التوظيف الذي قدّمه (بروب وشتراوس) في تقنين المتواليات السردية سيكون فرضية من فرضيات تلك المتواليات (٦) ، وهذا البروز في التوالي هو الذي يُشكّل _ بحسب شولز _ أساس الصناعة السردية حيث القصة عبارة عن نعوت وأحداث وأفعال وشخصيات وأسماء . (٧)

فالمتواليات السردية أحداث ذات بني كثيرة تُشكّل وحدة سردية، وليست جنساً أدبياً مستقلاً كما ذهب إلى ذلك الناقد (د. ثائر عذاري) في عدّه المتواليات السردية جنساً أدبياً مستقلاً وليس أسلوباً بنائياً أو تقنية بنائية (٨) ، إلا أنّ المتواليات السردية في الأساس هي تقانة تقوم على التتابع ، أمّا عدّها نوعاً من أنواع الأدب وبنياً مستقلاً قائماً بنفسه، فقد ذهب الناقد (نادية هنادي) إلى أنّه ضرب من الانكفاء النظري؛ كونه يتعدى التنظير الأحداث ويستميل التنظير الأقدم ، كما ينتكر للتأويل والتوازي وقبله التضمين، وإنّ قبول فكرة تصنيف المتوالية نوعاً أدبياً ليس إلا من باب رفض التطور والاستهانة بمنجزاته على حدّ قول الناقدة . (٩)

ومن هنا يغدو من غير الممكن عدّ المتوالية السردية اجناسية لتفكك التشكيل وضعف الوحدة ، لكن عدّها استراتيجية تكتيكية ممكن ، لأنّ مسألة التوالي رهن بالقارئ وقدراته وليست مرهونة بمؤلف يصنفها اجناسياً . (١٠)

أمّا في إطار السبق النقدي للمصطلح فقد كانت الريادة في العراق للناقد (جاسم عاصي) في بداية التسعينيات ، تنظيراً صاغه من مفهوم المتوالية العددية أو المتوالية الحاسوبية اسماه المتوالية السردية ، نشره بمجلة الأعلام تبعة بتطبيق عملي للمصطلح عن طريق قصص نشرها في المجلة ذاتها . (١١)

ووفقاً لنظرية الأجناس الأدبية ومغالطاتها لنظرية الأنواع تكون المتوالية السردية تقانة فنية لا يتعدى التعاطي معها بنية المسرد التي تتحدد في الأحداث وكيفية ترتيب الأفعال فيها على وفق سلسلة أو طريقة يُراعى فيها عامل الزمن كما تؤخذ السببية بنظر الاعتبار (١٢) ، وهذا ما نتبّاه في بحثنا ونذهب فيه مذهب الناقدة (نادية هنادي) في عدّ المتواليات السردية تقانة فنية وليست جنساً أدبياً قائماً بذاته .

وفي إطار إقامة علاقة بين أنواع المتواليات السردية والشكل الذي يُمثل أساس البنى والوحدات السردية ، تقترح الباحثة تقسيم أنساق المتواليات السردية التي تضمّ نصوص سيرة المدينة في السرد العراقي على نسقين تتوزع بينهما نصوص مدونتنا البحثية قيد الدراسة : الأول : هو النسق الشخصي الذي يكون السبق فيه للشخصية كمحور تدور حولها أحداث النص السردية ، إلا أنّ الكاتب يُكفّرها حمولته الفكرية في التعبير عن سيرة المدينة ، فيرتأي أن يحكي سيرة المدينة عن طريق تتبع حياة هذه الشخصية بوصفها معادلاً موضوعياً لمدينتها المحكي سيرتها ، أمّا الثاني : النسق الشبكي الذي يتألف من متواليات أحداث سردية عديدة تتباين في ترتيبها وسردها فتُشكّل شبكة علاقات سردية تُحكى عن طريقها سيرة المدينة _ كما سيأتي تبيان ذلك بالتفصيل _ .

أولاً : النسق الشخصي :

تُبنى المتواليات السردية في هذا النسق السردى على تتبع حياة شخصية معينة في النص السردى تُروى عن طريق حكاية أحداث حياتها سيرة حياة المدينة المحكي سيرتها في ذلك النص ، وتكون سيرة تلك المدينة مرتبطة بحكاية حياة الشخصية ، وعن طريق ذلك التتبع لحياة الشخصية الرئيسة في النص السردى يحكي الراوي سيرة المدينة ، ونقصد بالنسق الشخصى هنا تتبع حياة شخصية سردية معينة وليس الشخص المتكلم ذاته بالضرورة ؛ فلا ننوي هنا الفصل بين الشخصية والشخص في المصطلح ، بل نتبئى كل علاقة تجمعهما ، إذ أن من العبث رفض كل علاقة بين الشخصية والشخص ، فقد تمثل الشخصيات أشخاصاً تبعاً لظروف خاصة بالتخييل على حدّ قول (ترفيطان تودوروف) .^(١٣)

فالشخصية في الرواية السيرية ليست مفردة مجردة من محيطها ؛ بل على العكس من ذلك متماهية فيه وتدلّ عليه وتعبر عنه ، فالشخصية في روايات سيرة المدينة يكون التعامل معها بوصفها كائنًا محملاً بتاريخ معين ونظام حياة معين لها امتدادها المرجعي للواقع الذي تنتمي إليه لا مجرد كائن ورقي^(١٤) ، أو على أنها شخصيات " بلا ملامح ، شخصيات ضبابية ، مبهمة ، مشوشة " ^(١٥) ، إنما هي نتاج " لامتزاج عالمي المتخيل الروائي والواقع وتقاربهما " ^(١٦) ، فلا بدّ من خلق صلة بين شخصيات العالم التخيلي والعالم الواقعي الذي أفرغ الكاتب حملاته فيها ؛ لتدلّ عليه وتكون صورة أو معادلاً له .

وإنّ وضع الشخصية في إطار انتمائها المرجعي قضية مهمة تتبناها نصوص سيرة المدينة وتُفيد منها في حكاية سيرة المدينة وبناء المتواليات السردية عن طريق تتبع حياة تلك الشخصية ، فحينما تكون الشخصية في نصوص سيرة المدينة شخصية محورية في السرد ، لا يعني ذلك انفصالها عن العالم الواقعي الذي تنتمي إليه ؛ بل أنّها تحمل بذلك وظيفة حكاية جديدة بوقوفها في منطقة وسطى بين الواقعي والمتخيل ، فتكون وسيطاً بين القارئ والمؤلف الذي يتخذها وسيلة لسرد سيرة المدينة .

ويرى (ممدوح فراج النابي) أنّ ارتباط الشخصية في الرواية السيرية بواقعها الحقيقي ، لا يعني أنّها بعيدة عن البعد التخيلي ؛ فما أن تنتقل إلى الورق حتى تخضع لبعض شروط التخييل ^(١٧) ، إلا أنّ ذلك لا يقطع امتداداتها الإحالية للواقع الذي جاءت منه ، ونعني به الإحالة المرجعية إلى واقع المدينة المحكي سيرتها .

في حين ثمة شخصيات في النص السيري لسيرة المدينة تكون تخيلية لا مرجعية يخالقها المؤلف لتحميلها حملاته الفكرية ورواه الخاصة ، فتوثق مع الشخصيات الحقيقية العالم السردى للنص السيري ضمن التحريك التخيلي للنصوص ، فلا تكون هذه الشخصيات معبرة بالضرورة عن الواقع المحكي عنه في النص السيري ، لأنّ المهمة قد أنيطت للشخصية المحورية في السرد ، ويقتصر دور هذه الشخصيات على تأييد السرد التخيلي في النص ، فربما يخلق الكاتب بطلاً إشكاليًا في السرد يعبر عن طريقه عن رؤاه الخاصة _ والبطل الإشكالي حسب (لوكاش) هو الباحث عن قيم أصيلة في عالم منحط _ ^(١٨)

وفي هذا النسق في بناء المتواليات السردية ، يكون السؤال : كيف دلّ البطل على عالمه ؟ أو ما الرؤية التي يحملها البطل وما يمثله بالنسبة لعالم مدينته التي تشكّل سيرتها أهم حمولة من حملاته السردية ، بدل السؤال : كيف بنى المؤلف بطله ؟ ، وما يحمله البطل عن مدينته هو ما يستشفه القارئ من سيرة تلك المدينة ، وهو ذاته ما أودعه المؤلف أو راوي الحكاية في سيرته ، فلا يعبر البطل عن ذاته منفردًا ، إنّما يحمل صورة المدينة معه أيضًا ، إذ أنّ " تجربة شخصية عميقة يعيشها الفرد هي أرقى تعبير يميز ما هيته الداخلية وهي تعكس بذات الوقت مسائل العصر الهامة عكسًا بليغًا " ^(١٩) ، كما ذهب إلى ذلك (جورج لوكاش) ، فالشخصية في سيرة المدينة تمثل تجربة مجتمعية تعكس الوضع والعصر الذي تنتمي إليه ولا تتفصل عنه مطلقًا ؛ بل تعبر عن الأشخاص فعلاً ولكن طبقاً لصياغات خاصة بالتخييل ^(٢٠) ، وإلى ذلك يذهب (ميشال بوتور) بقوله " يعلم كل منا أنّ الروائي يبني أشخاصه شاء أم أبى ، علم ذلك أم جهل ، انطلاقاً من عناصر مأخوذة من حياته الخاصة وإنّ أبطاله ما هم إلا أقتعة يروي من ورائها قصته ويحلم بها بنفسه " ^(٢١) ، وهذا ما يمكننا التلذذ عليه في النصوص قيد الدراسة في كثير من الأحيان ، عندما يتخذ الكاتب من قصته وسيرة حياته مادة لسرد سيرة المدينة ، كما هو الحال مع نجم والي في مؤلفه (بغداد سيرة مدينة) على سبيل المثال .

وقد اشتملت النصوص قيد الدراسة على نماذج عديدة لهذا النسق السردى في بناء المتواليات السردية التي يقوم على أساسها العمل السردى ، من ذلك نجد الكاتبة (هدية حسين) في روايتها (مطر الله) تحكي عن طريق تتبع حياة أحد أبطالها وهو (

السيد مهران) سيرة بلدة مرمية على أطراف بغداد خلف سدّة ناظم باشا ، وسيرة حياة ساكنيها النازحين من قرى الجنوب العراقي ليقوموا على أعتاب العاصمة طمعاً في تغيير واقعهم المرّ وحياتهم العَصِيّة ، إلّا أنّ ذلك لم يحصل بطبيعة الحال ، فتحكي هدية حسين عن طريق سرد حياة السيد مهران ما يعانيه سكان خلف السدّة وتتخذ من النسق الشخصي في بناء المتواليات السردية وسيلة لحكاية سيرة البلدة عن طريق توظيف تقنية الاسترجاع وسرد الذكريات " من المؤكد أن أكون في حلم ، إذ ليس ثمة ما يثبت عكس ذلك ، فهذه البيوت والأزقة كانت قد اندثرت منذ زمن بعيد ، وانتقل أهلها إلى مكان آخر ، حتى أنني أتذكر اللوريات والعربانات التي اصطفت على السدّة وهي تمضي بالناس وأغراضهم إلى المساكن الجديد ، وصادف أن مررت بالمنطقة مرّات ومرّات بعد ذلك الرحيل الجماعي ، ولم يحدث أن قامت من غيابها الأبدى " . (٢٢)

وقد وظّفت الكاتبة تلك الذكريات في سرد ماضي المدينة المحكي سيرتها ، فضلاً عن ماضي الشخصية في المقطع السردى المتقدّم قبل أن تعود إلى ما هو أبعد من ذلك من حياة المدينة وحياة السيد مهران ، وقد اقتصرَت الكاتبة في سرد سيرة المدينة على تتبع حياة شخصية واحدة ، تُعرج عن طريقها على المدينة وطبيعة الحياة فيها ، فأفضت في سردها إلى ملامسة الواقع المعني ، بالتركيبية الداخلية للشخوص والمدينة والتطورات التي طرأت على المدينة في تعاقب الأزمان عليها بدءاً باندثار ملامحها ؛ ثمّ العودة من جديد عن طريق السرد الاستنكاري لحياتها السابقة ما قبل لحظة السرد " ما تراه الآن يا سيّد مهران ليس أكثر من صدق الذكريات التي فقدتها منذ زمن بعيد ، وما أنت تستعيد بعض تفاصيلها التي كانت غاطسة في قحف جمجمتك ، لكنك بحاجة إلى من يزيل الغشاوة التي تُغلف قلبك وعقلك ، وهذا ليس بالأمر الهين " . (٢٣)

وبما أنّ الكاتبة قد اتخذت تقنية الاسترجاع وسيلة لبناء المتواليات السردية لحكايتها ؛ فهذا يجعلنا نُسلم أن سرد سيرة المدينة في النص السردى قائم على الانتقاء ، انتقاء الأحداث والوقائع ؛ وبما يتفق مع ما تجود به الذاكرة ، ولا يمكن للذاكرة بطبيعة الحال أن تكون حيادية مطلقاً " حذار من الذاكرة ، فإنّها مراوغة تحجب ما تحجب وتدفع إلى الواجهة ما يناسب مزاجها ، ومزاجها اليوم مضطرب لأنّها تقوم من رقاد ثقيل ، ولكنني سأساعدك ، دعني أرتب ما جرى كما هو مدون لديّ ، سنضطر للعودة إلى الوراء برغم أنني لا أحب ذلك " (٢٤)

فلا يمكن الوثوق المطلق بالذاكرة فيما يتعلق بالسرد السيري إلّا في إطار التدليل على الحملات الرؤيوية للكاتب ، والتي يودعها في نصّه السردى وشخصه ، ولذا لا يمكننا استخلاص سيرة البلدة من أحداث الرواية ، إلّا بالأخذ بنظر الاعتبار النسق الشخصي الذي ارتأته الكاتبة في بناء المتواليات السردية لتلك السيرة ، والذي يقوم على الانتقاء من حياة البلدة ما يتناسب مع حياة الشخصية ويتعلّق بها ليكون مادة السرد في الرواية .

وفي إطار النسق البنائي للمتواليات السردية تُلخّص الكاتبة التطورات السياسية المتعاقبة التي انعكست على البلاد وأثرت بشكل أو بآخر بكلّ فرد من أفراد تلك البلاد ، وقد تمثل ذلك في ردّ السيد مهران على صوت الضمير الذي رمى عليه حملته الانتقادية ولخّص فيه فكرته عن مآل الشخصيات التي عارضت السلطة من سكان خلف السدّة علناً أو ضمناً فانتهى بها الأمر منسية في سجون السلطة أو منفية في بقاع الأرض أو مدفونة تحت ترابها " هم اختاروا منجزات الثورة غير مدركين بأنهم سيرون بالاتجاه الذي سيقودهم إلى التهلكة ، حين استبدلوا ولأنهم الملكي بولاء الزعيم وبيوت صغيرة هي حق لهم من دون مئة من أحد " (٢٥)

أما (نجم والي) فقد اختار النسق الشخصي أساساً في بناء المتواليات السردية لنصوصه الثلاثة ، يحكي عن طريق تتبع حياة أبطاله سيرة المدينة ، ولما كانت لقدرة الشخصية على تقمص الأدوار التي يحمّلها إيّاها الكاتب يجعلها في وضع ممتاز ، إذ يمكن بواسطتها تعرية أيّ نقص وإظهار أيّ عيب يعيشه أفراد المجتمع (٢٦) ، فإننا نجد الكاتب قد اتخذ في روايته (الحرب في حي الطرب) سيرة ذلك الحي موضوعاً لسرده لتبيان التركيبة التي يقوم عليها ، وتعرية النقص الذي يشتمل عليه في قضية تشبيء المرأة وتحويلها إلى سلعة تباع وتُشترى ، وقد حكى الكاتب سيرة الحي عن طريق تتبع حياة البطل (علي محمد) الذي يهرب مع زميليه من الحرب فتقودهم أقدامهم إلى حي الطرب ، لكن على لسان ساكنيه ، لا كما يراه الناس ، فقد ارتأى الكاتب أن يُدخلنا في أعماق ذلك الحي وبنيتة الحقيقية عن طريق البطل علي محمد ورفاقه الذين اتاحت لهم الحياة معرفة ذلك الحي الذي لا يشبه غيره عن كثب، ليعيشوا تفاصيله اليومية ، ويتعرّفوا على ساكنيه كما ينبغي ، فيسهم البطل في نقل صورة حقيقية عن ذلك الحي المحكية

سيرته ، والذي طالما أحاطت به علامات الاستفهام وأثيرت حوله الشبهة في مدى صحة ما يُحكى عنه ، وما إن كانت الحياة فيه على نحوٍ حقيقي أم لا ، ولذا نجد الكاتب قد كان موفقاً في بنائه أنساق المتواليات السردية التي تحتكم إليها الحكاية ، لتكون الشخصية شاهداً على أحداث الحي المحكية " لقد كانت أغلاهنّ هنا ، ولكن منذ انحسار العريان بعد الحرب فقد قلّ سعرها ، أنت تعرف سوق الدعارة لا يختلف عن الأسواق الأخرى ، عرض وطلب " (٢٧)

إذ يوضح المقطع السردى المتقدم إحدى صور السلب الذي تتعرض له المرة في ذلك الحي الذي لا عمل لرجاله سوى بيع أو التبضع بنسائه من دون أن تكون لأيّ منهن الحق في الخروج من تلك الدائرة المغلقة التي وجدن أنفسهن فيها ، وإن ما حاولت إحداهنّ ذلك بعدما كُتِب لها أن تعثر على من ينتشلها مما هي عليه كما حدث مع (سليمة) إحدى بنات الحي عندما أحبّت شاباً يدعى (سلمان) الذي أُعْرِم بها وقرراً أن يهربا معاً ، إلا أنّ أهلها أحالوا دون ذلك " كدنا نتجح في خطتنا إلا أنّهم ظفروا بنا وعند شجرة النبق الكبيرة قبضوا علينا ، طردوا سلمان وشدوني إلى السدرة ، بقيت هناك يومين بدون أكل وماء مع جلد هم لي يوماً " (٢٨) ، كان المصير الذي تعرضت له سليمة مصير أيّ واحدة من فتيات الحي تحاول الخروج من سطوته ، فقد حُكِم عليهن بالبغي مقتتعات أم مرغمت فلا خيار أمامهن سوى الخضوع لسوط الحي الذي يجلد زهورهن ، أمّا من يفكر ببناتهم وينوي العيش بقربها فعليه أن يسكن معها في الحي ، كما هو الحال مع عبد الحسن الذي قرر البقاء مع نعيمة التي عشقها إلى الحدّ الذي ترك أهله لأجلها . (٢٩)

وفي روايته (بغداد مالبورو) يتّبع نجم والي النسق الشخصي في بناء المتواليات السردية في حكاية سيرة مدينته التي فقدت أمنها واستقرارها بعد أحداث ٢٠٠٣ ، فحلّ فيه الخراب في كلّ أجزاء المدينة ، فضلاً عن ذلك نجد الكاتب عن طريق تتبع حياة الشخصية يستطيع بالعودة إلى ماضي الشخصية عن طريق حكاية الذكريات العودة إلى ماضي المدينة المحكي سيرتها ، وما كانت عليه سواء بالبناء الاجتماعي الذي يحكمها أم السياسي فينتقل الكاتب بين مدّة زمنية طويلة من حياة المدينة منذ الحرب العراقية الإيرانية مروراً بحرب الكويت وصولاً إلى الاحتلال الأمريكي للعراق وما تبعه من أحداث ووقائع شكّلت صورة جديدة للمدينة تختلف عمّا يعرفه عنها ساكنيها ، سواء بالبنيات المجتمعية التي تحكم المجتمع أم الوضع الأمني للبلاد بصورة عامة ، وللمدينة المحكي سيرتها بصورة خاصة .

" كنت اسكن في بيتي في حي مرموق من بغداد وليكن اسم الحي الذي عشت فيه حي الخضراء مثلاً ، أو حي الجامعة أو إذا شئت اسمه حي الأطباء أو حي الإعلام ، لا يهم من الأفضل التكتّم عليه الآن المهم أنّه سيكون أحد تلك الأحياء التي بُنيت في السبعينيات ، كان بيتي يقع على الشارع الرئيس قريباً من السوق ومن مركز شرطة الحي في تلك الأيام كانت المنطقة مقارنة بالأحياء الأخرى من بغداد هادئة بعض الشيء باستثناء هجوم مسلح على مركز الشرطة في أواخر عام ٢٠٠٣ ... " (٣٠)

فجدد الكاتب في إطار سرده لأحداث حياة البطل يحكي سيرة المدينة التي يسكنها الكاتب ، لذا نجده يعتمد النسق الشخصي في بناء أحداث الرواية ؛ لتكون حياة البطل صورة لحياة المدينة المحكي سيرتها ، وعن طريق توليه زمام السرد نجد الراوي / البطل يعرّج إلى حكاية مدينته في كلّ مرّة يحكي فيها عن نفسه .

يعود بنا الراوي في حكايته إلى زمن النظام السابق في العراق الذي كان فيه تاريخ تأسيس الحزب الشيوعي العراقي حدثاً يستحق أن يوضع فيه كلّ من يشكون في انتمائه للحزب تحت المراقبة ؛ بل قد يُعتقل من دون سبب يُذكر " لأنّني كنت خارج الشبهات ربّما بسبب مكان ولادتي ، هل نسيت ؟ المناطق الغربية من البلاد أو بسبب لقبّي أو ربّما بسبب خالي الذي كان ضابطاً كبيراً في الجيش ، كنت انقذهم أنا بزياراتي لهم الواحد بعد الآخر أحمل قنينة الشرب والمرّات في الكيس ... " (٣١)

إذ يوضح المقطع السردى المتقدم قضيتين مهمتين في بنية المدينة المحكية سيرتها ، تتمثل الأولى في التقييد الفكري الذي كانت تمارسه السلطة على أبناء المدينة من الشيوعيين خاصة ومن يخالفون متبنياتها الفكرية بصورة عامة ، في حين تُشير الأخرى إلى تلك الامتيازات التي تتمتع بها فئة من المجتمع لمجرد انتمائها إلى منطقة معينة من البلاد أو دلالة لقبها على مكون معين من المجتمع العراقي في حين تُحرم منها فئة أخرى ومن دون وجه حق .

وضمن الاسترجاع الاستذكارى لحياة الشخصية يحكي لنا الكاتب لحظة قصف بغداد عام ١٩٩١ كما لم يحكيها النظام في حينها " حتى الصور التاريخية تلك لم نرها باستثناء الصور الحقيقية لقصف بغداد في ليلة ١٦ / ١٧ كانون الثاني ١٩٩١ التي عشناها حية ، لم نر غير صور مزيفة بثتها المحطتان الرسميتان عندنا بعد مدة ، وكان علينا إما أن نسافر خارج البلاد أو ننتظر حتى ٩ أبريل ٢٠٠٣ ، لكي نرى ما لم نره في تلك الأيام ، أو لكي نكتشف ما كان عندنا من محظور " (٣٢) ، فلم تكن تصل إلى الناس الصورة الحقيقية لا للوضع الأمني ولا للحال الذي آلت إليه الحرب ، فقد كانت السلطة آنذاك تتعمد تزييف الحقيقة وخداع الناس وتتفرد هي بالحقائق التي لم يكن لأحد الاطلاع عليها .

" في اليوم الثاني استيقظنا على خبر سقوط بغداد وعلى أصوات عبارات نارية في الساحة ، أتذكر أول جملة قالها لي وهو يفتح عينيه وقبل أن يقول لي صباح الخير ، هل تعرف أنها المرة الثانية عشرة التي تسقط فيها بغداد " (٣٣)

التغيير الذي حصل للمدينة وتركيبتها بعد سقوطها الثاني عشر ، قد انعكس على ساكنيها وأفقدتهم أبسط سبل الأمان " ليس من الغريب أن تدخل بيتك وتلتقي بمن يحتله دون أن تعرف من هو ؟ ؛ بل دون أن تعرف لماذا ؟ ، أليس من الغريب أن تدخل بيتك ولا تستطيع التحرك فيه بحرية أو الإقامة فيه ولو لساعات محدودة ، أليس من الغريب أن تدخل بيتك وتشعر أنك غريب فيه كأنك لم تعيش هناك ذات يوم ؟ ... " (٣٤)

ذلك الشعور الذي عاشه البطل قاسماً مشتركاً بين سكان المدينة المحكي سيرتها جميعهم ، حتى وأن لم يُنتهك بيتك ؛ فأنت تعيش شعور الفقد كل ساعة ، ففي أي لحظة ممكن أن يسلبك أحدهم بيتك أو أهلك أو حتى روحك دون أن تعرف لماذا ؟ وليس من الضرورة أن يكون ثمة سبب لذلك في الأساس .

أما في مؤلفه (بغداد) الذي يحمل عنواناً آخر (سيرة مدينة) يوظف الكاتب النسق الشخصي في بناء المتواليات السردية عن طريق تتبع حياة البطل / الراوي الذي يحكي عن طريق سرد أحداث حياته ، سيرة مدينة بغداد وحياتها الماضية منذ لحظة تأسيسها الأولى وما طرأ على المدينة من تغيرات طالت شكلها ومعالمها ، أفقدتها رونقها وعزها وأناقته ، " ذات يوم وبغداد هذه أعني التي هي الأخرى لم تغب عن لسان أحد من هؤلاء جميعاً يوماً وهم يسألون عن أبي الغائب عن البيت ؛ بل هي على لسان أصدقاء أبي أيضاً كلما مروا أمام بيتنا ورأوني ألعب سألوني هل عاد أبي من بغداد ؟ بغداد هذه بدت لي بعيد المنال ... " (٣٥)

تبدأ حكاية بغداد مع نجم والي في أحلامه قبل أن يراها وتتجسد أمامه شاخصة بعمرانها وشوارعها وحياتها وتاريخها الذي كثيراً ما سوف يعرج عليها في سرده ويعود إلى ذلك التاريخ الذي طالما شكّل عنده هاجساً حتى قبل أن يعرف بغداد كما عرفها لاحقاً ، ببغداد التي يحكيها الطفل الصغير ليست بغداد الحاضرة ؛ بل بغداد كما نسجها خياله عن طريق ما يسمع من قصص والده عنها قبل أن يزورها وينتقل للعيش فيها لاحقاً ليكون شاهداً على أحداثها التي يرويها .

" بغداد لم تولد بالصدفة ، إذن ربّما فُكر أبو جعفر المنصور أنّ وجود خلافة جديدة يحتاج إلى نشوء مدينة جديدة أيضاً ... " (٣٦) ، لم تكن عودة نجم والي إلى ماضي بغداد سرداً تاريخياً فحسب بل كان تحقيقاً فنياً ، يحكي فيه قصة مدينة بغداد منذ أن قرّر الخليفة العباسي تأسيسها لتكون قبلة الخلافة الجديدة ، وقبلة العالم آنذاك ؛ بما ازدهرت به من علم وعمران وتجارة ، لكن لم تلبث بغداد على ذلك الحال فقد بدأت أيدي الخراب تمتد إليها بين الحين والآخر كلما تعافت من جراحها ، بدءاً باحتلال المغول ومروراً بالحروب الكثيرة التي مُنيت بها في تاريخها ، فتستعيد روحها كالعنقوت قبل أن تُكتب لها حرب جديدة .

بعد أن ينتقل البطل للسكن في بغداد لإكمال دراسته الجامعية يبدأ بحكاية سيرة المدينة كما يراها ويعيشها عن طريق توظيف النسق الشخصي في سرد سيرة حياته التي عن طريقها يحكي سيرة المدينة ، ولم يغفل فرصة لحكاية سيرة المدينة دون أن يستغلها ، وينطلق من حياته الجامعية وآلية قبوله لدراسة الأدب الألماني طريقاً لحكاية النظام الذي كان يتحكم ببغداد وجامعاتها آنذاك " إنّ اختيار الاختصاص الجامعي هو أمر لا علاقة له بالرغبات الخاصة ، له علاقة بنظام القبول المركزي ، بالمعدل الذي حصل عليه الطالب بعد الانتهاء من الدراسة الإعدادية ، كما له علاقة بالنظام السياسي " (٣٧) ، فقد وقف الانتماء للحزب الحاكم عائقاً أمام حلم البطل بالالتحاق بكلية الفنون الجميلة _ كما أشرنا في التمهيد _ وهو أمر لا يتعلق بالقبول الجامعي فحسب ، بل يتحكم في كل تفصيلة من تفاصيل حياته آنذاك .

ويتخذ (تحسين كرمياني) من حياة (زوراب الأحدي) مادة في بناء النسق الذي يحبك فيه المتواليات السردية لسقوط مدينة جلولاء ، وسيرة حياتها ، فنكون سيرة (زوراب الأحدي) وساطة لحكاية سيرة المدينة ، وقد اقتصر على يوم الأحد في سرده دون الأيام الأخرى " كنّا لحظتها في أرجوحة المنزل نندارس الوضع العام نتناقش فكرة الخروج من البلدة بعدما انحسرت مقومات الحياة فيها ، فصار النهار يخضع لصمت رهيب ، ومع غروب شمس كلّ نهار تتصاعد حدّة المناوشات الحربية بين الجانبين دون أن يريا أو يعرفا بعضهما البعض ، فيتحول ظلام الليل إلى شاشة تبتث الوميض وممر سالك لخطوط فسفورية تتصادم أحياناً وتتسطى وامضة بالشرر ... أجلس لإحصاء القذائف المارقة ... " (٣٨)

كان ذلك الأحد الأول الذي يحكي فيه الكاتب سيرة المدينة إبان أيام سقوطها قبل أن يفقد زوجته بقذيفة تسقط على مكان جلوسهما تذهب بحياتها ليكون وحيداً في تلك المدينة بعد أن فقد ابنتيه في حادثة سابقة ، واقفرت المدينة من أهلها بسبب الموت الذي اجتاحتها ولم تعد صالحة للعيش ، إلا أنه قد اختار أن يقيم فيها ، يشهد سقوطها ، ويكتب سيرتها كما لم يكتبها غيره ، ولم يشاهدها سواه " لم أجد وزعاً أو دافعاً يقنعني بقيمة الحياة كي أهرب من أجلها ، وجدت نفسي بلا روح مجرد جسد مأسور بقوة المكان ، سفينة بلا ريان تتناهبها أعاصير تخض الأمواج وتعاكها ... بدأت الأنفجار الأخيرة من الناس تفرّ ، أولئك الذين تعدّ عليهم الهروب تحت زخ الرصاص ، وأخيراً وجدوا فرصاً مناسبة تؤمن هروبهم ... " (٣٩)

أصبح (زوراب الأحدي) جزءاً من المدينة المحكي سيرتها بعد أن غادرها أهلها وأقفرت إلا منه ، صاروا يكملان بعضهما الآخر يُعرف بها وتُعرف به ، فغدت سيرته معادلاً موضوعياً لسيرتها ، وحياته حياتها ، يحاكي جدرانها وأشجارها وحيواناتها التي هربت هي الأخرى أخيراً ولادت بالأشجار التي خارجها " لم تعد كلاب البلدة تتبح من المحتمل أنها فقدت ألسنتها في الحرب ، لم تعد الوطاويط تجوب الفضاء لكنسها من بعوض ترعرع على دم الفقراء وكلّ ما حولي صمت تام ، ورائحة مقبّنة تكتم النفس وتقلب الأحشاء للمنازل ، ومع بدء جلوسي تحت شجرة المشمش ؛ تبدأ بدلق ونشر جيف الأشياء ومعها ينطلق قطار الحكي ، ضوء قمر خجول يهبط مخترقاً الغبار والدخان والصمت ، يفلت من وراء غيمة يابسة تمر من فوق البلدة بلا ناس ، وليالي تشبه إلى حدّ ما كوميديا لا تنقرض ولا تتجلي أشجانها وحكاياتها " . (٤٠)

ثانياً : النسق الشبكي :

تُبنى المتواليات السردية في هذا النسق السردية عن طريق أحداث متفرقة بالتتابع والتواتر ، تؤسس سيرة المدينة فيها عن طريق وعي المؤلف الضمني للحكاية ، الذي يؤسس لشبكة من الأحداث المتفرقة يحكي عن طريق إقامة علاقات سردية بينها سيرة المدينة ، فيصنع بذلك شبكة من الأحداث والعلاقات التي يكون نتاجها حكاية أحداث حياة المدينة بصياغات إبداعية تشتمل بالضرورة على عنصر التشويق بعيداً عن السرد التاريخي للأحداث ، وبما أنّ " العمل الفني ليس نتاج المؤلف بوصفه فرداً ، ولكنّه يكشف الوعي الجماعي والمصالح والقيم الاجتماعية لجماعة أو طبقة " (٤١) ، فإنّ تعاضد شبكة من الأحداث السردية التي تكشف عن ذلك الوعي الجماعي ، تنتج جملة من البنى الاجتماعية التي تؤدي بدورها إلى الكشف عن البنى الاجتماعية التي تنبني عليها المدينة المحكي سيرتها ، عن طريق النسق الشبكي في بناء المتواليات السردية ، التي لا تنفصل عن العالم الواقعي وإن كانت متخيلة ، ف" القصة صورة للحياة الواقعية " (٤٢) _ بحسب رينيه ويليك _ وإن كانت متخيلة ولا تمثلها _ أعني الحياة الواقعية _ تمثيلاً كاملاً ، فذلك ما لا يمكن على الإطلاق .

فتكوّن الأحداث بمجملها الواقعية منها والمتخيلة في السرد السيري للمدينة " مجموعة وقائع منتظمة أو متناثرة في الزمان ، تكتسب خصوصيتها وتميزها من خلال تواليها في الزمان على نحو معين " (٤٣) ، شأنها في ذلك شأن أيّ أحداث تكوّن النص السردية ، ولا تختلف عنها إلا في مضمونها وتضافرها مع بعضها البعض ، مشكّلة شبكة من المتواليات السردية تحكي بمجموعها سيرة المدينة في النص ، وإنّ القائم بالسرد يجد نفسه في كلّ نقطة من الحكاية أمام اختيارات تتجسد في إمكانات سردية كثيرة ، ولكي تتابع الحكاية طريقها عليه في كلّ لحظة أن ينقل إحدى الإمكانات من القوة إلى الفعل . (٤٤)

أما وحدة العمل السردية فعدت معتمدة على " البيئة التي تتحرك فيها الشخص أو على النتيجة العامة التي ستتجلى عنها الأحداث أو على الفكرة الشاملة التي تنظم الحوارات والشخصيات " (٤٥) ، فتتأمل أحداث النص السردية عما ستتجلى عنه في هذا النسق " بنمو فعلها السردية على وفق التوالي الزمني للأحداث " (٤٦) ، فتحكي أحداث حياة المدينة على نسق التواتر والتتابع في بناء المتواليات السردية ، ويمثل " تألف من المتواليات السردية المروية بنفس الصوت السردية أو بأصوات سردية أخرى ، بحيث يتم إدراج إحدى المتواليات في متواليه أخرى " (٤٧) ، مكونة النسق الشبكي ، أي أنّ النص السردية يتألف من المتواليات السردية ، التي يرويها المقتضى السردية نفسه (٤٨) ، وهو حكاية سيرة المدينة نفسها وما ينجلي عن ذلك من أحداث .

في مجموعة (محمد خضير) القصصية (رؤيا خريف) نجد الكاتب يحكي قصصاً عديدة تجمعها رؤيا واحدة يحكي فيها شبكة من الأحداث والوقائع تبني مع بعضها نسقاً من المتواليات السردية ، يحكي عن طريقها سيرة مدينة (بصريانا) التي اتخذ من سيرتها مادة لسرده عن طريق التتابع والتواتر في أحداث الحكايات التي يرويها " تجول الحكماء الثلاثة في المدينة عرضاً وطولاً وساروا هنا وهناك ولم ينتبه إليهم أحد ، فالمدينة ذاتها تغص بالحشود الوافدة إليها من المدن الأخرى ، جنوداً وصحفيين ومراسلين ورجالاً يقتفون آثار أبنائهم المتوجهين إلى الجبهة ، امتلأت بهم الشوارع والساحات والفنادق وخيام الطريق ... " (٤٩)

إذ نجد الكاتب عن طريق سرد حكاية الحكماء الثلاثة في مجموعته القصصية يحكي أحداث المدينة وسيرة حياتها ويصف حالها وما هي عليه " كان (اتراحاسيس) _ الواسع الحكمة _ عارفاً بطرقات المدينة وحواريها وأسواقها ، إذ تكرر مروره بها ولأنّ المدينة معروفة بكثرة أنهارها فقد عبر الحكماء جسوراً عديدة ... " (٥٠) ، فنجد الكاتب في المقطع السردية المتقدم لا يعتمد إلى وصف المدينة وصفاً مباشراً ، إنّما عن طريق سرد أحداثه المتفرقة والعديدة ليُشكّل بذلك شبكة من الأحداث تكوّن بجمالها _ كما ذكرنا سابقاً _ سيرة للمدينة ، " كانت الحرب قد انتهت ومضت ثلاثة عقود على وصول آخر وجبة من الأسرى إلى المدينة ، طهر النهر وصفا الهواء من روائح الجثث المنفخة ، وغرست الفسائل في حقول النخيل المقطوعة أو المحروقة على جانبي النهر ، غدا السلام حقيقة متماسكة ، فبني البرج ، إنّي مُنْهَك يا صاحبي فخذ عني زمام القول " . (٥١) ، وقد حذف الكاتب في المقطع السردية المتقدم جملة من الأحداث التي مرّت بها المدينة واکتفى بوصف ما آلت إليه حال المدينة بعد ذلك ، ليترك للقارئ حرية تخيل الشكل الذي كانت عليه بشاعة الحرب التي مرّت بها المدينة .

وفي قصته (حكايات يوسف) يستمر في تتبع سيرة المدينة عن طريق تحريك جملة من الأحداث المتفرقة " مع سقوط الفجر تدق ساعة المدينة الكبيرة دقات التنبيه الخمسين فينتشر رنينها العالي حول المدينة ثمّ يتبدد في الحقول وبعد لحظات يغادر العمال والحرفيون منازلهم خارج المدينة ويتوجهون إلى الساحة الرئيسية قبل أن يتفرقوا في الطرقات الواسعة إلى أعمالهم ، حدادون وسباكون وبنّاؤون ونجارون ومهندسون ، جمعهم سلطات مدينتنا من المدن المجاورة واحتقت بهم ورفعت شأنهم بين السكان " (٥٢)

وفي حكاية (صحيفة التساؤلات) يستمر الكاتب على المنوال نفسه في تشابك أحداث قصصه التي تضمّ بين سطورها حكاية سيرة بصريانا ، " نظرت إلى المدينة حولي أسفل المنارة العالية ورأيت الفجر في هذه اللحظة الفاصلة بين الظلمة والنور يرسم حدود سطوحها والفراغات ما بين أبنيتها كانحناءات كلمة ناقصة تبدو المدينة من هذا الارتفاع كاملة البناء ، لكنّها تظهر في الوقت نفسه ناقصة ، مختلة كأن نظامها الهندسي البديع ينطوي على نقصان غير منظور ، انسحبت أنيال الفجر عن أخاديد وتقوُب وسقطت عنه حروف كلمة المدينة المستترة ، فراغات لن تمتلئ ببناء مهما عظم وعلا ، ومن البقعة الصحراوية الصغيرة في وسطها ... " (٥٣) ، يصف الكاتب المدينة بشكلها وتفصيلها في أمكنة متفرقة في مجموعته القصصية تنتهي جميعها إلى الشكل النهائي للسيرة التي يودّ الكاتب حكايتها عن مدينة بصريانا التي لم يكن سرده لسيرتها تاريخياً ؛ بل كان بناء المتواليات السردية التي تضمّ سيرتها بناءً فنياً وعن طريق النسق الشبكي الذي يحكي الكاتب عن طريقه حكاية المدينة عن طريق جملة من الأحداث المتفرقة في القصص .

أما (عبد الله الصخي) فيبني المتواليات السردية في رواية (خلف السدة) على النسق الشبكي للأحداث المحكية عن طريق وعي المؤلف الضمني للسيرة ويمسك زمام سردها وتصويرها عن طريق تتبع حياة الشخص الذين يسكنون البلدة ، والأمر مختلف عما هو عليه لدى الكاتب (محمد خضير) الذي تنوعت قصصه وحكاياته المتضمنة سيرة مدينة بصريانا ، إذ ارتأى الصخي أن

تكون حكايته واحدة وقصته ذاتها التي يحكي عن طريقها سيرة المدينة ، إلا أنَّ الأحداث التي تقع مع شخوص حكايته هي المختلفة والمتعددة ، فتكوّن شبكة من الأحداث السردية تتضافر لحكاية سيرة المدينة " كانت ليلة شتائية باردة في صباحها شاهد الأطفال المياه متجمدة في البرك التي خلفتها أمطار الأيام الماضية بهدوء كي لا يوقظ ابنته التي نامت مبكرًا متدثرة بلحاف سميك فوق سرير خشبي عتيق تلمس وجه زوجته وهمس مكية ... " (٥٤)

يفتح الكاتب روايته بحكاية حياة إحدى شخصياته _ (سلمان اليونس)_ التي تشكل شاهدًا على شفاوة العيش وشطفه في البلدة المحكي سيرتها عن طريق حكاية ما يعانیه من تعب يودي بحياته في النهاية تاركًا أولاده وعائلته خلفه لمصير مجهول .
يعود الكاتب إلى اللحظة الأولى التي وُجدت فيها البلدة من العدم " في ذلك الضيق البعيد وصلت المجموعة الأولى من المهاجرين الذين تركوا أرياف الجنوب وأهواره وقدموا إلى المدينة حالمين بحياة جديدة بعد أن قطعوا مسافات طويلة في عربات خشبية مفتوحة الجانبين لها سقوف من شعر الماعز ، تجرها خيول أرهقتها الدروب الوعرة والمستنقعات الجافة المتشققة ... وجاء يوم اتضحت لهم منائر بغداد وقبابها من بعيد ، متوجة بأشعة نحاسية فهتفوا مبتهجين ، تلك اللحظة توقف سيد جار الله ، ترجل عن حصانه وطلب منهم أن يقضوا ليلتهم تحت شجرة توت ضخمة انتصبت وحيدة على جانب الطريق " (٥٥)

بعد تلك الليلة التي قضوها في العراء يتابع الكاتب سرد كيفية الانتهاء إلى هذه الرقعة بالذات لتكون البلدة التي يحكي سيرتها في روايته " كانت الأرض تمتد بين سدين ترابيتين لحماية بغداد من فيضانات النهر السنوية في أسفل السدة الأولى سدة ناظم باشا الممتدة من الرستمية جنوبًا إلى الصليخ شمالًا يجري جدول آسن يطلق عليه (شريط) هناك توقف حصان سيد جار الله ، فهبط منه طاف ببصره متأملًا الأرض التي لم تطأها قدم من قبل ، ابتسم قلبه للسماء ودعاهم للصلاة فيما انتشر الأطفال بعيدًا في البرية الموحشة حين انتهوا من صلاتهم نهض معتمدًا على يديه وقال بصوت شعر به الجميع : هنا بيتي وهنا قبري ، أركبوا أنه اختار تلك البقعة ليقوموا فيها فأخرجوا الفؤوس والمعاول والمعازق ، نظفوا مساحة مستديرة من الأدغال والأجمات الكثيفة المبعثرة ... " (٥٦)

من جانب آخر نجد الكاتب يصف آلية بناء البلدة وتأسيسها وازدياد أعداد ساكنيها شيئًا فشيئًا " كانت الطرقات الجديدة واسعة مكنتهم من التجول في حارات لم يروها من قبل ومن تسيير مواكبهم الدينية بسهولة ومنحتهم فرصة أكبر لمطاردة اللصوص الذين كانوا يختفون في انعطافات الأزقة الضيقة وعمتها ، ويسرت طرقًا أخرى إلى مرقد سيد جار الله الذي أصبح وسط كتلة من البيوت المزدهمة يؤدي إلى زقاق ينتهي بباب كبير مفتوح دائمًا " (٥٧)

أمّا عن عادات وتقاليد سكان البلدة فقد كانت أحداث حياة مكية الحسن إحدى شخصيات الرواية الرئيسة انموذجًا وشاهدًا على تلك العادات التي تؤمن بها تلك المجتمعات البسيطة " لملت مكية أنيال عبايتها بقلق ، هرعت إلى بيتها وأمرت ابنتها حليلة أن تجلب طاسة فارغة وضعتها بين فحذي الطفل النحيفين وراقبته بحذر حتى إذا تدفقت قطرات فضية لامعة وتجمعت في قعر الطاسة الصفراء الداكنة ، خطفها وشربتها حتى آخر قطرة أمام ابنتها التي راحت تضحك هازئة ، لكن الطفل مات بعد أسابيع " (٥٨)
كان الحدث المتقدم يصف ما كانت تؤمن به مكية الحسن وسواها من ساكني البلدة من تقاليد وخرعبلات تحكم عقولهم البسيطة ، فقد كانت تتوهم أنها إذا ما شربت ما يخرج من بين فحذي ابنها سيبقى على قيد الحياة ، ولا يلحق بإخوته الذين ماتوا قبله .

ويُنهى الصخي حكاية خلف السدة بالرحيل الجماعي الذي حددته السلطات يوم الجمعة إلى مدينة الثورة التي وعدهم بها الزعيم عبد الكريم قاسم " حددت السلطات يوم الجمعة من شهر تموز موعدًا للرحيل ، على أن يتم ذلك في ساعات الصباح الأولى ، قبل أيام من الموعد بدأ السكان بجمع أغراضهم وعزلها عن بعضها في صناديق أو صرر كبيرة ... " (٥٩)

وفي رواية (المنطقة الخضراء) لشاكر نوري تروى سيرة المدينة عن طريق تتابع وتوالي أحداث متفرقة تتعلّق بمجموعة من المترجمين ومجموعة أخرى من جنود المارينز ، فضلًا عن شخوص آخرين يشتركون أيضًا في شبكة من الأحداث السردية التي تؤسس نسق المتواليات السردية التي تحكي سيرة المدينة عن طريق وعي مختلف لما عهدناه من الأخبار التي تتسج حولها ؛ إذ أنّ رواة الحكاية هذه المرّة هم مشاركون في صوغ أحداثها الداخلية ، شاهدين على تفاصيل حياتها من الداخل ، لا كما يصورها

الآخرون ، ويروها من خارج أسوارها ، فالرؤية هذه المرّة قد خرقت الحواجز وعبرت الأسوار لتكون سيرة تتبع من داخل أسوار المدينة وحواجزها الكونكريتية ، طالما حفظتها من الخارجين عنها ، وكنمت أسرارها وظلّت غامضة لا يعرف أحد ما فيها ، أرضاً ملاءى بالأسرار والخبايا والتابوهات ؛ إلا أن شاكر نوري هذه المرّة قد ارتأى أن يكون رواية سيرة مدينته هم ممن يعرفون الكثير من خباياها ، فلا أسرار داخل المنطقة الخضراء ، وكلّ شيء مكشوف أو يُكشف بعد حين قصير .

" كان علينا أن نستمتع إلى هذه الموسيقى أنا وزملائي مراد ورشيد وكامل وفيبيان عند بوابة الحاجز رقم ٢ ، يجب علينا في الخروج والدخول من وإلى هذا الكوكب الجديد أن نتوقف ونترجل من سيارتنا ونخضع للتفتيش والتدقيق من قبل فرقة عسكرية تتكون من خمسة جنود مارينز (نيل وجيمي وريتشارد وياتشلور وياتيسيا) ... " (٦٠)

يصف الراوي / البطل المنطقة الخضراء بالكوكب الجديد ؛ لكونها ظلّت ذلك الوقت وقبل دخوله إليها طلسمًا ، لا يعرف كيف يفك رموزه ، إلى أن اجتاز أسوارها وعرف أيّ حياة صعبة وخطرة تحف أسوارها وتنتظره زملائه " تعرضنا لهجمات انتحارية آخرها غير مألوفة ، فسائق السيارة جاء باتجاه الحاجز مسرعًا متجاهلاً التحذيرات والإشارات وما أن بدأنا بإطلاق الرصاص عليه حتى استدار عائدًا من حيث أتى ، وبعد ساعات عثرنا على سيارة مهجورة على بعد أميال وبداخلها مائتا كيلو غرام من المتفجرات ، ولكن لم يُصب أحد من حراس بوابة التفتيش بأذى على الرغم من سقوط قذائف الهاون يوميًا على المنطقة " (٦١)

لم يكن الموت وحده ما يحف ساكني المنطقة الخضراء؛ بل كانت نفوس أغلبهم المريضة تجعلهم في خطرٍ دائم، جعلتهم منبوذين خلف أسوارها " كانوا يطلقون على الناس الذين يسكنون خارج المنطقة الخضراء بالرعاغ والغوغاء والإرهابيين القذرين " (٦٢)

تلك الطبقة التي يعامل بها سكان المنطقة الخضراء من هم خارجها جعلتهم بعيدين عن الاندماج بالناس خارج أسوارها ، وظلّوا متوقعين ضمن دائرة الخطر التي وجدوا أنفسهم داخلها " كنّا ننتظر حركة يد أو نصف كلمة أو غمزة عين من جندي تعطينا إشارة الدخول إلى جزء من مدينتنا ، أطلقوا عليه المنطقة الخضراء ، التي أبقوها ووضعوا لها منافذ وأبواب وحرس ، لكن بغداد وإن فقدت الأمان ، لكنّها لا تزال مثل إسفنجة مبللة كبيرة تمتص في أحشائها كلّ شيء ، المترجمون والإرهابيون ورجال المقاومة وجنود المارينز والمستشارون والمتقاعدون والوزراء والحكام الجدد " (٦٣)

لم يشأ الراوي (إبراهيم) أن يستأصل المنطقة الخضراء من مدينة بغداد التي وُلدت من رحمها وإن ضُربت بأسوار وحواجز فصلتها عنها ، إلا أنّها تظل جزءًا منها وإن لم يكن بارزًا بها ، يختلف عالمه عن عالمها " عالم تشكل من حطام شخصيات يائسة ، عاد لها الأمل لتلعب دورها ، يختلط بعضهم ببعض دون أن يجرؤوا النظر إلى عيون بعضهم " (٦٤)

حياة متوترة وعلاقات بائسة لا صداقات يمكن أن تخترق التعليمات التي تصدر ممن هم أعلى " كلّما مررنا من هذه البوابة يقوم نيل ورفاقه من الحرس بتفتيشنا من قمة الرأس إلى أخص القدم ، وأحيانًا لا نفهمهم أو لا نفهم ردود أفعالهم ، نيل يصرخ في وجوهنا طالبًا منّا إخراج هوياتنا ويدقق في توقيع الكولونيل داود عليها .. ثمّ يرميها في وجوهنا وأحيانًا لا تتلقفها أيدينا ، فنضطر للركوع من أجل التقاطها من الطريق الاسفلتي ، فيصطنع ابتسامة صفراء ، نحن أصدقاء ولكن الأوامر أكبر منّا " (٦٥)

تلك البنى الاجتماعية الهشة والعلاقات الإنسانية شبه المعدومة هي ما تنطبع عليها حياة المدينة المحكي سيرتها " نيل يخشى كلّ عابر من بوابة المنطقة الخضراء حتى أجهزة المراقبة الالكترونية تخفق أحيانًا في الكشف عن بطن امرأة حامل تلف على خصرها حزامًا ناسفًا أو تحمل في صدرها قنبلة ، لكن أذنه الموسيقية اللعينة تتحسس ذلك الأزيز الذي ينطلق من الحزام أو القنبلة وأخطر ما يُقلق هو اللحظة التي تسبق الانفجار ، الهوة المطلقة على بركان هائج من مشاعر الخوف والإرباك التي يمكن أن تتحول إلى كومة من الحديد أو اللحم ، ماذا ينفع أن يقرس في وجوه العابرين ، لأنّ ما تفصله بينه وبين موته سوى ثوان؟ الإرهابيون لا وجود لهم ، ولا تعابير ولا أحاسيس وهذا ما كان يخيف نيل وزملاء فرقته ، ويقذفهم في هيجان لا نهائي " (٦٦)

يتابع الكاتب سرد سيرة المدينة ووصف ما آلت إليه حالها " المدينة المصغرة تحولت إلى حامية و قلعة أو منطقة لا يدخل إليها الأفراد إلا بتراخيص موقعة من أعلى سلطات الاحتلال ، ويخضعون إلى فحص بصمة العين ودمغة الأصابع ، بعد أن أصبح كلّ فرد يحمل ثلاث أو أربع هويات لتزوير التراخيص والأسماء ، كلّ من كان يدخلها يجب أن يغير اسمه وينقي اسمًا مستعارًا ، فالأسماء فضيحة ، الكل يريد أن يبعدها عن نفسه والكل يرتدي الألقبة ليقول أنا الآخر " (٦٧)

بين وعي جنود المارينز والمترجمين كانت تُسج سيرة المدينة كما يريد المؤلف الضمني الذي يقف موجهاً لشبكة الأحداث التي تتصافر لبناء المتواليات السردية " كئاً سجناء المنطقة الخضراء ، كانت نزهتنا أن نخرج مع جنود المارينز المدهامات والدوريات ، ولا نجد وقتاً نقضيه خارج المكاتب سواء ، وإلاً نبقي حبيسين في مكاتبنا التي لا تفصل بينها سوى لوحات زجاجية وممرات ضيقة وجهاز هاتف في إحدى الزوايا يستخدمه الجميع ويتم تسجيل كافة المكالمات آلياً من خلاله " (٦٨)

تلك القيود المبالغ بها والتي كانت تكتم على أنفاس المترجمين فضلاً عن الجنود وتجعلهم حبيسي المدينة ، لا يغادرونها دون تعليمات وأوامر عليا .

أما في رواية (أهل النخيل) لجانان جاسم حلاوي فيستعين الكاتب بالنسق الشبكي في بناء المتواليات السردية عن طريق تتبع أحداث حياة مجموعة من الشخصيات في المدينة ، والتي عن طريقها تُسج حكاية المدينة المحكي سيرتها " الناس يشردون ثم يتوارون خلف البنايات ، بعضهم يقع ولا يقوم وآخر يواصل هربه ومن أماكن شتى تأتي نداءات استغاثة ، صيحات تنبيه وصرخات ذعر ، في العراء حيطان منهاره نوافذ مكسرة أبواب مقتلعة ، هشيم قرميد ، حطام سيارات ودراجات هوائية وأشلاء خشب وحديد وملابس في برك موحلة ، رائحة الموت تتسرب إلى الأنوف من جثث مضى عليها الزمن فتعفتت وفي الدروب تعدو الكلاب مذعورة مثلها مثل البشر ، تشق طريقها في غمار سقوط القنابل بين الانهيارات والانفجارات وصفير الشظايا وألسنة اللهب " . (٦٩)

بالحرب والموت والقنابل يفتتح جانان جاسم حلاوي سيرة المدينة كما المدن العراقية التي لا تغادرها الحرب إلا لتحل محلها أخرى " المدينة تميل وكأنها سفينة تغرق مع كل انحدار تنهار البنايات تتخسف الشوارع ، تتصدع الأرصفة ، تسقط المآذن والقباب وتقع الجسور ... واستمرت الحرائق أياماً طويلة ، صارت فيها بساتين النخيل أعواداً سوداً نتأت على وجه الأرض المسود والمترمد وغطت طبقة من الرماد كثيفة وجه الماء في الأنهار " (٧٠)

ثم يتابع الكاتب وصف تفاصيل مدينة البصرة المحكي سيرتها عن طريق تتبع حياة شخصها " يقع مأوى العجزة هذا لدى أطراف محلتني نظران والصبخة الصغيرة في البصرة القديمة حيث بساتين النخيل المحيطة بنهر الخندق وحيث تقوم محطة السكك الحديد المهجورة وخرائب معمل المسامير والمأوى في حقيقته ليس غير مستودع من القرميد الأصفر ، بناه الإنكليز بعد احتلال المدينة في الحرب العالمية الأولى " . (٧١)

ويشكل مأوى العجزة هذا حدثاً فاصلاً في حياة مدينة البصرة وأبنائها الذين كانوا يتخذونه مخبئاً لمنشوراتهم السياسية التي تطاردها السلطة .

" مبنى المحطة مغلق وفارغ ، مكعب من القرميد العتيق لفحته السنون على بابه الحديد أرقام انكليزية كتبها رجال إنكليز جادون اعتادوا ترقيم كل شيء بدءاً من الحجارة وانتهاءً بالبشر ، على مقربة منه جثمت عربات قطار فارغة ، هرمة ، مفتوحة ومرقمة أيضاً " (٧٢)

يحاول الكاتب في حكايته سرد سيرة المدينة أن يعود إلى تلك التفاصيل التي خلفها الإنكليز والآثار التي صنعها خلفهم للمدينة المحكي سيرتها ، فلم يطل المدينة عمران ولا بناء ولا تأسيس ؛ إنما كان كل شيء فيها بدائياً مهماً من السلطة الحاكمة التي اكتفت بملاحقة أبناء المدينة من الشيوعيين وزجهم في المعتقلات لقولهم كلمة حق يطالبون بها بحق مدينتهم المهملة والمنسية .

ويُخصص فصلاً ينفرد فيها السرد لسيرة شارع معين من شوارع المدينة المحكي سيرتها كشارع (بشار بن برد) " هذا هو الاسم المثير للتساؤل والدهشة الذي أطلقته الدولة الشقية على الشارع الجديد المار بالمبغى العام في البصرة ، فصار بالتالي اسماً للمبغى نفسه على الرغم من مرور الشارع بمناطق شعبية أخرى يزول قاطنوها مهناً عادية لا يبيعون فيها أجسادهم ، وإنما عرق جبينهم " (٧٣)

ويسرد طقوسها وشعائرها الدينية التي اعتادتها المدينة المحكي سيرتها كل عام " في العاشر من شهر محرم تحل ذكرى الموت الذي لا يُرد حكم الله والقدر الحتمي فيفيض حزن المدينة من قلبها المكوي بالألم ويكثر الناس من البكاء والوعويل مظهرين التوجع والتأوه كما لو أنّ نائبة أصابتهم فأفجعتهم بأبنائهم وذوهم ، ففي مثل هذا اليوم من عام ٦١ للهجرة قُتل الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب وقُطع رأسه ولقي الكثير من أهله وأصحابه مصرعهم ، على يد الأمويين في ناحية كربلاء ... " (٧٤)

إذ نجد أنّ الكاتب قد وظّف أحداثاً عديدة ومتفرقة شكّلت شبكة من العلاقات السردية عن طريق وعي المؤلف الضمني للحكاية لبناء المتواليات السردية عن طريق توظيف النسق الشبكي في السرد .

وفي رواية (القمر والأسوار) لعبد الرحمن مجيد الربيعي يتخذ الكاتب من النسق الشبكي نسقاً لبناء المتواليات السردية ، يسرد سيرة مدينة الناصرية عن طريق وعي المؤلف الضمني الذي ينتقي الأحداث والوقائع المختلفة لتكون شبكة من الأحداث السردية التي تُفضي في النهاية إلى بناء سيرة المدينة في الرواية " بدأ حميد يفتح حزامه الجلدي العريض ذي الخنجر المفضض ، ثم ألقاه على سريره المصنوع من جريد النخل ورفع العقال واليشماغ من فوق رأسه ، ورماهما فوق السرير أيضاً " (٧٥)

إذ نجد الكاتب منذ البداية وعن طريق حياة إحدى شخصياته يُفصح عن أسلوب الحياة لسكان هذه المدينة المحكي سيرتها ، وزبهم العربي التقليدي ، فضلاً عن مستواهم المعيشي في إشارة سريعة إلى السرير المصنوع من جريد النخل ، ليضع المتلقي في الصورة التي سيكون السرد ضمن إطارها " كان الزقاق يعمر بالبيوت الطينية الواطئة ، وجلّ سكانه من المهاجرين الذين تركوا حقولهم وقراهم وانغمسوا في عالم المدينة " (٧٦)

فلم تكن المدينة بالشكل الذي نتوقع أن تكون عليه ، فالفارق بينها وبين المدينة لا يعدو افتقارها للحقول وغياب الزراعة ، إذ حتى جدرانها الطينية قد انتقلت معهم إلى المدينة بعدما تركوا حقولهم طمعاً في استقرار العيش الذي لم يجده " كان الزقاق نائماً تقريباً ، وقد غطست بيوته في ظلمة دامسه ، وليس هناك من يجرؤ على الخروج ، فقد انعدمت الحياة في المنطقة منذ أن حلّ الظلام وعبثاً تقاوم الأتوار الباهتة المتسربة من ذؤوبات الفوانيس النفطية التي تنور في باحات البيوت " . (٧٧)

إذ ظلّت المدينة ريفاً في كلّ تفاصيل حياتها وانعدام سبل الراحة التي كان المهاجرون يحملون أن يصلوا إليها " انتشر في الزقاق خبر مفاده أنّ بيوت العاهرات التي تحلّ جزءاً كبيراً من وسط المدينة ستهدم وسيبنى مكانها مسجد ومدرسة وملعب لكرة القدم ، واستبشر السكان لهذا الخبر إذ أنّ هذه المحلة تقع في منتصف الطريق بين الزقاق والسوق ، وكان على جميع الذاهبين إلى السوق أن يخرتقوها ، أما النساء فيفضلن الالتفاف من جهة شارع الهواء مما يجعل مسافة الطريق مضاعفة " . (٧٨)

ويتابع الكاتب سرد الفئات التي تسكن المدينة وما تعاني كلّ فئة من مجتمع المدينة ، ويحكي في سيرة مدينته معاناة كلّ البنى الاجتماعية التي تكون مجتمع المدينة من دون أن يغفل إحداها فالشرطة والعاهرات والعمال يشكّلون القاعدة التي تستند عليها المدينة على كلّ حال " كان مصطلح أهل الأكوخ يطلق على أفراد قبيلة (آل بو نصيف) الذين هجروا أرضهم الواقعة على مشارف الشطرة ، غادروها بمجموعتهم وحطوا رحالهم هم وكلابهم وأبقارهم وأغنمامهم في غربي الناصرية ، وكانوا متحمسين للعمل فتوزعوا المهن الصغيرة ، وكلّ غابيتهم كانت الكسب ، وقد ألصقت بهم السرقات التي وقعت في المدينة بعد مجيئهم ، ولكن ذلك لم يثبت ، ولكنهم كانوا يسرقون بعضهم البعض وتحدث بينهم مشاكل عديدة كلّها تُحسم عن طريق شيخ القبيلة ، قبل أن تصل إلى أسماع الشرطة " . (٧٩)

ولم تكن هذه القضية تشمل أهل الأكوخ فقط ، بل كانت كلّ الخلافات في المدينة تُقضى لدى كبارها ومشايخها قبل أن تصل إلى الشرطة ، التي غالباً ما تكون آخر الحلول ، فقد كانت الحكومة آخر همهم في كلّ شيء ولا يرتجون منها شيئاً بعد إهمالها الطويل لهم ، فكانوا يقضون أمورهم ويلبون احتياجاتهم بأنفسهم " بدأت في المدينة حملة تبرعات لبناء المسجد وتسارع التجار والموظفون والعمال في التبرع ، بعضهم تبرع نقوداً وآخر طابوقاً أو اسمناً " . (٨٠)

ويتابع الكاتب في سرده سيرة المدينة عن طريق جملة من الأحداث المتفرقة التي تجمعها سيرة المدينة ، فيفرد فصلاً بعنوان (الشارع والمدينة) ، يتحدث فيه عن أهم شارع في المدينة المحكي سيرتها ، والذي يطلق عليه (شارع الهواء) " يمتد شارع الهواء عريضاً ومستقيماً من شرقي المدينة حتى غربها ، تتوسطه حدائق مستطيلة زرعت أرضها بالدغل ، وتساقمت فيها أشجار اليوكالبتوس العالية وأحيطت به الحدائق بأسيجة من الأسلاك الشائكة حتى لا ينفذ إليها الصبيان فيقطعوا زهورها " . (٨١)

ينتقل الراوي من شارع الهواء إلى محلة الصابئة التي تقع في " شرقي المدينة ، على حدود بستان عبود وبمحاذاته شاطئ الفرات ، إذ كان الصابئة هؤلاء لا يسكنون إلا على ضفاف الأنهار ، فكلّ طقوسهم وأعيادهم وعباداتهم لا تتم إلا بالماء وهم يظنون أنّ

الأواني والثياب لن تتظف إلا إذا غسلت بماء جارٍ وفي ليلة الزفاف يجب أن يغتسل العريسان في الماء حتى لو كان ذلك في الشتاء " (٨٢)

جملة الأحداث المتفرقة هذه يوظفها الكاتب في نسق شبكي لبناء المتواليات السردية التي يحكي عن طريقها سيرة المدينة ، فيحكي سيرة أجزائها الصغيرة وساكنيها وعاداتهم وطقوسهم بمختلف فئاتهم وطباعتهم وميولهم " توقفت سيارة أنيقة بيضاء في رأس الزقاق ونزل منها رجل خمسيني ، هو رئيس بلدية المدينة ، يصحبه مجموعة من الموظفين المسنين ، وألقى نظرة على الزقاق وهو يضع منديله على أنفه حتى لا يستنشق رائحة الماء الآسن وغائط الأطفال ... همس في إذن موظف بدين يضع على رأسه سداة سوداء : أطلب منهم جميعهم أن يبنوا واجهات بيوتهم بالطابوق وأن يرجعونها مترين للوراء حتى يتسع الشارع ... أظنهم لا يملكون ثمن البناء وصرخ رئيس البلدية ، إلى جهنم الناصرية كانت أجمل مدينة ولكن هؤلاء جعلوها قبيحة بوجوههم ومنازلهم " (٨٣) ، كان يقصد بذلك المهاجرين إلى المدينة الذين كانوا سبباً في تضخم السكان في المدينة ، ولما كانوا لا يملكون ثمن البناء اضطروا إلى السكن في الأكواخ وبيوت الطين .

الخاتمة :

ما تقدّم نخلص إلى أنّ أنساق بناء المتواليات السردية في نصوص سيرة المدينة قد انقسمت على نسقين ؛ تكون الشخصية بطلاً محورياً تحكى عن طريق تتبع سيرة حياتها سيرة حياة المدينة وهو ما أسميناه النسق الشخصي ، والذي عليه قام السرد السيري في رواية (مطر الله ، ، بغداد مالبورو ، الحرب في حي الطرب ، وبغداد سيرة مدينة) ، في حين تكون مجموعة من الأحداث المختلفة والمتفرقة مادة السرد الحكائي التي تروى عن طريقها حياة المدينة المحكي سيرتها عن طريق شبكة العلاقات السردية التي يصنعها الكاتب من أحداثه السردية والذي أسميناه النسق الشبكي ، والذي تقوم عليه سيرة المدينة في النصوص (رؤيا خريف ، خلف السدة ، المنطقة الخضراء ، أهل النخيل ، والقمر والأسوار) .

الهوامش :

- (^١) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية ، لطيف زيتوني ، مكتبة دار لبنان ناشرون ودار النهار للنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢ : ١٤٢ .
- (^٢) ينظر : م . ن . : ١٤٢ .
- (^٣) ينظر : م . ن . : ١٤٢ .
- (^{٤٤}) ينظر : ألف ليلة وسحر السردية العربية ، داود سلمان الشولبي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، المغرب ، (د . ط) ، ٢٠٠٠ : ١٨/١ .
- (^٥) ينظر : نظريات السرد الحديثة ، والاس مارتن ، ت: حياة جاسم محمد ، المجلس الأعلى للثقافة والمشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ : ١٣٢ _ ١٢٦ .
- (^٦) ينظر : المتواليات السردية : بزوغ فني أم تنويع أدبي ، نادبة هنادي ، بتاريخ : ٢٥/٤/٢٠١٨ ، تاريخ الوصول : ١٠/٣/٢٠٢١ .
<http://www.alquds.co.uk.com>
- (^٧) ينظر : روبرت شولز والمتواليات السردية ، نادبة هنادي ، بتاريخ : ٢٢/٧/٢٠١٨ ، تاريخ الوصول : ١٠/٣/٢٠٢١ .
<http://www.almadapaper.net>
- (^٨) ينظر : ظاهرة شكلية أم تنوع ثيماتي ، د. ثائر العذاري ، جريدة الصباح ، بغداد ، العدد ٧١٥٨٨ ، ٢٠١٨ .
- (^٩) ينظر : المتواليات السردية : بزوغ فني أم تنويع أدبي ، نادبة هنادي .
- (^{١٠}) ينظر : المتواليات السردية مغالطة نقدية وجناية أكاديمية ، نادبة هنادي ، مجلة الناقد العراقي ، بتاريخ ٢٠/٢/٢٠١٩ ، تاريخ الوصول : ١٠/٣/٢٠٢١ .
<http://www.alnakedaliraqi.com>
- (^{١١}) ينظر : السبق النقدي في اجتراف مفهوم (المتواليات السردية) وكتابتها ، فاضل ثامر ، جريدة المدى ، بتاريخ : ٢٣/٧/٢٠١٧ ، تاريخ الوصول : ١٠/٣/٢٠٢١ .
<http://www.almadababer.net>
- (^{١٢}) ينظر : المتواليات السردية : بزوغ فني أم تنويع أدبي ، نادبة هنادي .
- (^{١٣}) ينظر : مفاهيم سردية ، تزفيتان تودوروف ، ت : عبد الرحمن مزيان ، منشورات الاختلاف ، الرباط ، ط١ ، ٢٠٠٥ : ٧١ .
- (^{١٤}) ينظر : النقد البنيوي للحكاية ، رولان بارت ، ت : انطوان ابو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت . باريس ، ط١ ، ١٩٨٨ : ١٣١ .

- (^{١٥}) الفنطازيا والصولجان (دراسة في عجائب الرواية العربي) ، فاطمة بدر ، كتابات للإعلام والثقافة والنشر ، ودار الأدهم ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٣ : ٢١ .
- (^{١٦}) بناء الشخصية في رواية الحواف لعزت الغزي ، د. أحمد شعث ، مجلة جامعة الخليل للبحوث ، العدد الثاني ، المجلد الخامس ، ٢٠١٠ : ٢ .
- (^{١٧}) ينظر : رواية السيرة الذاتية ، ممدوح فراج النابي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١١ : ٣٣١ .
- (^{١٨}) ينظر : نظرية الرواية وتطورها ، جورج لوكاش ، ت: نزيه الشوفي ، حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للمترجم ، (د . ط) ، ١٩٨٧ : ٢٣ .
- وينظر : علم الجمال عند لوكانش ، رمضان بسطاويسي محمد غانم ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، (د . ط) ، ١٩٩١ : ٢٠٧ .
- (^{١٩}) دراسات في الواقعية ، جورج لوكاش ، ت: نايف بلوز ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٥ : ٢٥ .
- (^{٢٠}) ينظر : بنية الشكل الروائي (الفضاء _ الزمن _ الشخصية) ، حسن بحراري ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ٢ ، ٢٠٠٩ : ٢١٣ .
- وينظر : مفاهيم سردية ، تزفيطان تودوروف ، ت : عبد الرحمن مزيان ، منشورات الاختلاف ، الرباط ، ط ١ ، ٢٠٠٥ : ٧١ .
- (^{٢١}) بحوث في الرواية الجديدة ، ميشال بوتور ، ت : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٦ : ٦٤ .
- (^{٢٢}) مطر الله ، هدية حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ : ٩ .
- (^{٢٣}) م . ن . ١١ .
- (^{٢٤}) م . ن . ١١ .
- (^{٢٥}) م . ن . ٩٦ .
- (^{٢٦}) ينظر : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، عبد الملك مرتاض ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، (د . ط) ، ١٩٩٨ : ٧٩ .
- (^{٢٧}) الحرب في حي الطرب ، نجم والي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ : ١٧٨ .
- (^{٢٨}) م . ن . ١٩٧ .
- (^{٢٩}) ينظر : م . ن . ٢٠٦ .
- (^{٣٠}) بغداد مالبورو ، نجم والي ، دار الساقى ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٥ : ١٣ .
- (^{٣١}) م . ن . ١٧ .
- (^{٣٢}) م . ن . ٥٨ .
- (^{٣٣}) م . ن . ١٠٣ .
- (^{٣٤}) م . ن . ٢٢٦ .
- (^{٣٥}) بغداد (سيرة مدينة) ، نجم والي ، دار الساقى ، ط ١ ، ٢٠١٥ : ١٤ .
- (^{٣٦}) م . ن . ٣١ .
- (^{٣٧}) م . ن . ٤٦ .
- (^{٣٨}) ليلة سقوط جلولاء ، تحسين كرمياني ، دار سطور ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٩ : ٢١ .
- (^{٣٩}) م . ن . ٢٦ _ ٢٧ .
- (^{٤٠}) م . ن . ٩٧ .
- (^{٤١}) الفن القصصي ، ميشيل زيرافا ، ت : سما داود ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٥ : ٥٣ .
- (^{٤٢}) نظرية الأدب ، رينيه ويليك وأوستن وارن ، ت: عادل سلامة ، دار المريخ ، الرياض ، (د . ط) ، ١٩٩٢ : ٢٩٧ .
- (^{٤٣}) البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبد الله إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٩ : ٢٧ .
- (^{٤٤}) ينظر : الأدب والغربة (دراسات في بنوية الأدب العربي) ، عبد الفتاح كليطو ، دار تويقال ، الدار البيضاء ، ط ٣ ، ٢٠٠٦ : ٣٩ .
- (^{٤٥}) مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، عبد القادر بوشريفة وحسين قزف ، دار الفكر ، عمان ، ط ٤ ، ٢٠٠٨ : ١٢٨ .
- (^{٤٦}) الرواية العربية (المتخيل وبنيته الفنية) ، يمى العيد ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١١ : ٤٢ .
- (^{٤٧}) مقولات السرد الأدبي ، ضمن كتاب طرائق تحليل السرد الأدبي ، رولان بارت وآخرون ، منشورا إتحاد كتّاب المغرب ، الرباط ، ط ١ ، ١٩٩٢ : ٥٦ .
- (^{٤٨}) ينظر : قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ت : السيد إمام ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٣ : ١٤ .
- (^{٤٩}) رؤيا خريف ، محمد خضير ، شركة الشرق الأوسط للطباعة ودار أزمنا ، عمان ، ط ١ ، ١٩٩٥ : ١٧ .
- (^{٥٠}) م . ن . ١٩ .
- (^{٥١}) م . ن . ٢٩ .
- (^{٥٢}) م . ن . ٥١ .

- (^{٥٣}) م . ن : ١٠٣ .
 (^{٥٤}) خلف السدة ، عبد الله الصخي ، دار المدى ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨ : ٥ .
 (^{٥٥}) م . ن : ٩_٨ .
 (^{٥٦}) م . ن : ١٠_٩ .
 (^{٥٧}) م . ن : ١٤ .
 (^{٥٨}) م . ن : ١٥ .
 (^{٥٩}) م . ن : ١٤١ .
 (^{٦٠}) المنطقة الخضراء ، شاكور نوري ، دار ثقافة للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩ : ٧ .
 (^{٦١}) م . ن : ١٤_١٤ .
 (^{٦٢}) م . ن : ١٤ .
 (^{٦٣}) م . ن : ١٤ .
 (^{٦٤}) م . ن : ١٤ .
 (^{٦٥}) م . ن : ١٧ .
 (^{٦٦}) م . ن : ٤١ .
 (^{٦٧}) م . ن : ٤٣_٤٤ .
 (^{٦٨}) م . ن : ١٢٠ .
 (^{٦٩}) أهل النخيل ، جنان جاسم حلاوي ، دار الساقى ، بيروت ، ٢٠١٥ : ٧_٨ .
 (^{٧٠}) م . ن : ١٠_٨ .
 (^{٧١}) م . ن : ٢٥ .
 (^{٧٢}) م . ن : ٢٩ .
 (^{٧٣}) م . ن : ١٠٠ .
 (^{٧٤}) م . ن : ١٥٣ .
 (^{٧٥}) القمر والأسوار ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط١ ، ١٩٨٦ : ٩ .
 (^{٧٦}) م . ن : ١١ .
 (^{٧٧}) م . ن : ٣٦ .
 (^{٧٨}) م . ن : ٦٧ .
 (^{٧٩}) م . ن : ٧٠ .
 (^{٨٠}) م . ن : ٧٨ .
 (^{٨١}) م . ن : ١٠٣ .
 (^{٨٢}) م . ن : ١٠٣ .
 (^{٨٣}) م . ن : ١٨٨_١٨٩ .

المصادر والمراجع :

- _ الأدب والغربة (دراسات في نبوية الأدب العربي) ، عبد الفتاح كليطو ، دار توفيق ، دار البيضاء ، ط٣ ، ٢٠٠٦ .
 _ ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية ، داود سلمان الشويلي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، المغرب ، (د . ط) ، ٢٠٠٠ .
 _ أهل النخيل ، جنان جاسم حلاوي ، دار الساقى ، بيروت ، ٢٠١٥ .
 _ بحوث في الرواية الجديدة ، ميشال بوتور ، ت : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦ .
 _ بغداد (سيرة مدينة) ، نجم والي ، دار الساقى ، ط١ ، ٢٠١٥ .
 _ بغداد مالبورو ، نجم والي ، دار الساقى ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٥ .
 _ بناء الشخصية في رواية الحواف لعزّت الغزي ، د. أحمد شعث ، مجلة جامعة الخليل للبحوث ، العدد الثاني ، المجلد الخامس ، ٢٠١٠ .
 _ البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبد الله إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ .
 _ بنية الشكل الروائي (الفضاء _ الزمن _ الشخصية) ، حسن بحراري ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ٢٠٠٩ .

- _ الحرب في حي الطرب ، نجم والي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣ .
- _ خلف السدة ، عبد الله الصخي ، دار المدى ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
- _ دراسات في الواقعية ، جورج لوكاش ، ت: نايف بلوز ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥ .
- _ رواية السيرة الذاتية ، ممنوح فراج النابي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١١ .
- _ الرواية العربية (المتخيل وبنيتة الفنية) ، يمني العيد ، دار الفارابي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١ .
- _ روبرت شولز والمتواليات السردية ، نادبة هنادي ، بتاريخ : ٢٠١٨/٧/٢٢ ، تاريخ الوصول : ٢٠٢١/٣/١٠ www.almadapaper.net
- _ رؤيا خريف ، محمد خضير ، شركة الشرق الأوسط للطباعة ودار أزمنة ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٥ .
- _ السبق النقدي في اجتراف مفهوم (المتواليات السردية) وكتابتها ، فاضل ثامر ، جريدة المدى ، بتاريخ : ٢٠١٧/٧/٢٣ ، تاريخ الوصول : ٢٠٢١/٣/١٠ <http://www.almadababer.net>
- _ ظاهرة شكلية أم تنوع ثيماتي ، د. نائر العذاري ، جريدة الصباح ، بغداد ، العدد ٧١٥٨٨ ، ٢٠١٨ .
- _ علم الجمال عند لوكاتش ، رمضان بسطاويسي محمد غانم ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، (د . ط) ، ١٩٩١ .
- _ الفن القصصي ، ميشيل زيرافا ، ت : سما داود ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٥ .
- _ الفطازيا والصولجان (دراسة في عجائب الرواية العربي) ، فاطمة بدر ، كتابات للإعلام والثقافة والنشر ، ودار الأدهم ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣ .
- _ في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، عبد الملك مرتاض ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، (د . ط) ، ١٩٩٨ .
- _ قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ت : السيد إمام ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
- _ القمر والأسوار ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦ .
- _ ليلة سقوط جلولاء ، تحسين كرمياني ، دار سطور ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٩ .
- _ المتواليات السردية : بزوغ فني أم تنوع أدبي ، نادبة هنادي ، بتاريخ : ٢٠١٨/٤/٢٥ ، تاريخ الوصول : ٢٠٢١/٣/١٠ www.alquds.co.uk.com
- _ المتواليات السردية مغالطة نقدية وجناية أكاديمية ، نادبة هنادي ، مجلة الناقد العراقي ، بتاريخ ٢٠١٩/٢/٢٠ ، تاريخ الوصول : ٢٠٢١/٣/١٠ <http://alnakedaliraqi.com>
- _ مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، عبد القادر بوشريفة وحسين قزف ، دار الفكر ، عمان ، ط٤ ، ٢٠٠٨ .
- _ مطر الله ، هدية حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
- _ معجم مصطلحات نقد الرواية ، لطيف زيتوني ، مكتبة دار لبنان ناشرون ودار النهار للنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢ .
- _ مفاهيم سردية ، تزيطان تودوروف ، ت : عبد الرحمن مزيان ، منشورات الاختلاف ، الرباط ، ط١ ، ٢٠٠٥ .
- _ مقولات السرد الأدبي ، ضمن كتاب طرائق تحليل السرد الأدبي ، رولان بارت وآخرون ، منشورا إتحاد كتّاب المغرب ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩٢ .
- _ المنطقة الخضراء ، شاكر نوري ، دار ثقافة للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩ .
- _ نظريات السرد الحديثة ، والاس مارتن ، ت: حياة جاسم محمد ، المجلس الأعلى للثقافة والمشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ .
- _ نظرية الأدب ، رينيه ويليك وأوستن وارن ، ت: عادل سلامة ، دار المريخ ، الرياض ، (د . ط) ، ١٩٩٢ .
- _ نظرية الرواية وتطورها ، جورج لوكاش ، ت: نزيه الشوفي ، حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للمترجم ، (د . ط) ، ١٩٨٧ .
- _ النقد البنيوي للحكاية ، رولان بارت ، ت : انطوان ابو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت . باريس ، ط١ ، ١٩٨٨ .